الرحيل بين الرؤيا والمئذنة

جميلي عبد الرحمن

نفذت رائحة الذرة الخضراء رياحينا، فلا
وتململنا في الطائرة الحائرة متاعاً، ومقاعد
الحصو الساخن يفترش طريقي المتعرج.. رملاً
ونسيمة نيل تتسلل من الدفء المتغلغل، فابتلا
وتلاشت مدن تختبىء وراء الغيم المتباعد!
وبيوت طيبة تومىء لي أهلاً.. أهلاً
وهبطنا نبتسر البسمة في الوجه الجامد

★ ★ ★

شهق الضوء كما الأشباح.. تميد عظاماً.. سُلاً
نشب الصمت مخالبه في الميناء الراكد
الشوك، القنفذ في الصحراء اعتلا
وحقيبة عمري ارتعشت فوق ذراعي الصامد!

★ ★ ★

وزنازين الجند ارتطمت سلسلة، قفلا
خوذات، وجوازات أسرى، ووجوه القتلى!

★ ★ ★

- القائمة السوداء
- تعني قائمة الشرف؟
ميناء القاهرة الجوي، أم الميناء؟
تل أبيب، أم سيناء؟
- الآن ترى، ونجز شرايين الصلف.

★ ★ ★

يا مئذنة الأزهر
أتيت مضخمة بالعنبر
أطول من نخلتنا
أسمر من حنطتنا
شكراً سيدتي، وحجامي الأخضر!

★ ★ ★

بين غضون الحلم.. فيافيه
كالدهشة، كالفرحة بالعيد، لياليه
رسمتك الفرشاة على الأفق المغبر
وكلام الله السلوى.. في أفواه الفقراء

★ ★ ★

-يقتلك الوجد
يحرقك السهد
وفراشك شتل.. مغروس نخلا
ودثارك ورق الجميز، ونوار، وردُ!

★ ★ ★

- لا تكتئبي... طيفك في أسمال الليل.. يضيء الليلا
أوحشني ظل البيت
سراج الزيت،
الجيران، الودُّ!
أوحشني صوت الباعة يسترقون الكيلا
لغط الشارع، عبق الليمون، زقاق ينسد
وملاءة عطر تتناغم، فرخان انسلاَّ
والصبية في أعينهم فقر، مكر، ما أحلى!

★ ★ ★

وأتى في استحياء خطو الوالد
- أبتاه.. من القبر؟
- وفي الكفين قلائد
قيظ
لا أسمع مئذنة
موت
وشواهد!
اكتحل الجفنان برؤياك، وصلَّى
واختفيا خلف القضبان.. ضبابا، ظلا

★ ★ ★

محمولاً.. والليمون يخصك،
كيزان الذرة
وساقية كسلى!
الفلاحون وراءك،
ملح الأرض،
وعاصفة تجتاح الحقلا
- هل مت؟
- الساقية تدور
- ويدك المحراث أشارت.. كلاَّ!

★ ★ ★

« عد من حيث أتيت »
يجوب الصوت السهلا
تختلج القضبان مطأطئة.. ثكلى!

★ ★ ★

وتنوح، تلوح.. كطير ينأى.. يسوَدُّ
رؤيا ليس لها غور، أو حَدّ.

★ ★ ★

من « صحن الأزهر » يسقون الخيلا
ويشم دعاة الله الروث، البولا!